

٦! طرق مختلفة للتعرف على قلب المدينة بلا رتوش

٢٠١٦/٩/١٦



ظهرت فكرة جولات وسط البلد قبل أكثر من ٦ سنوات تقريبا، وذلك بشكل غير رسمي أو مؤسسى فى البداية، كما يقول المهندس عمر نجاتى شريك مختبر عمران القاهرة «كلستر» وكان ذلك فى عام ٢٠١٠ من خلال مشروع بجامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب لمسح الممرات والفراغات البينية فى منطقة وسط البلد فى إطار رؤية أشمل لتطوير وإعادة إحياء المنطقة. وتعد أول تجربة منظمة للجولات تلك التي نظمت ضمن مؤتمر «دروس من القاهرة» الذى عقد بالجامعة الأمريكية فى المبنى التذكارى بميدان التحرير فى ربيع ٢٠١٣ فى محاولة لدمج المناقشات الأكاديمية النظرية مع الواقع العمرانى على أرض الواقع، حيث تم فى اليوم الثانى للمؤتمر تنظيم ٦ جولات

فى أماكن مختلفة مثل القاهرة الإسلامية، ومنطقة «أرض اللوا» ومدينة السادس من أكتوبر و«عزبة الهجانة» و«القاهرة الجديدة» ومنطقة وسط البلد وشارك فى هذه الجولات عدد من المصريين والأجانب من الخبراء والطلاب ومتخذي القرار. استهدفت تلك الجولات استكشاف المواقع والأنماط والظروف العمرانية وكذا المشكلات والفرص الموجودة فى القلب العمرانى بشكل عام، وفى مركز المدينة بالتحديد. ومثلت هذه الجولات نوعا من المشاركة العملية لإثراء النقاش من خلال التعرف على الواقع العمرانى والتعرض المباشر له.

واستمرت تلك الجولات بالتعاون مع أساتذة وطلاب الجامعات، كالجامعة الأمريكية وجامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب وغيرها. وفى سياق إحدى هذه الجولات التي شارك فيها أحمد حلمى رئيس شركة «الإسماعيلية» آنذاك، تم تكليف «كلستر» ببحث وإعداد وتصميم جولة لوسط البلد تركز على الممرات كإطار لاستكشاف معالمها وتراثها. وقمنا بإعداد جولة تشمل المباني التاريخية والفنادق ودور السينما والمقاهى والمطاعم والمؤسسات الفنية والمبادرات الجديدة فى وسط البلد بالإضافة إلى الممرات البينية وأطلقنا عليها اسم D-TOUR.

ويضيف نجاتى، أما آخر تجربة للجولات فكانت ضمن مؤتمر «مدن إبداعية» الذى عقد فى الجامعة الأمريكية أيضا فى نوفمبر الماضى، حيث قمنا بتصميم وإعداد ٦ جولات لإعادة اكتشاف وسط البلد من خلال موضوعات مختلفة مثل جولة «المدينة السينمائية» وجولة «المدينة الأدبية» وجولة «الممرات» وأخرى على الدراجات وغيرها. وتم التعاون مع متخصصين ومهتمين بوسط البلد لإعداد وتنظيم تلك الجولات مثل الدكاترة والأساتذة سامية محرز ومحمد الشاهد وبول جيدي وعبادة الكاشف وغيرهم. وبالتوازي تم إصدار دليل جولات وسط البلد من خلال الممرات.

ويرى عمر نجاتى أن فكرة هذه الجولات مختلفة تماما عن كونها مجرد جولات سياحية، فهى تهدف لأن تكون إحدى أدوات التعريف بوسط البلد، من خلال الوقوف على صورتها المركبة، ذلك أن منطقة وسط المدينة ليست مقتصرة على الصورة الكلاسيكية للعمارات التراثية، وإنما تتشكل عبر تراكمات وتحولات اجتماعية واقتصادية على مدى عقود، ومن خلال أنشطة إنسانية شديدة التنوع والتركيب؛ فهناك مقاهى وبارات وسينمات وفنادق ومحلات أنثيكاك وترزية وباعة جائلين. ومن هذا المنطلق يمكن قراءة تلك الجولات كمحاولة نقدية لاستكمال الخطاب الذى يختزل وسط البلد فى المباني التراثية أو يتعامل معها كمتحف مفتوح يستهدف إخلاءها من أغلب الأنشطة غير المرغوب فيها، أو التى لا تتسق مع هذه الرؤية، وهى أنشطة تُعد بدورها تراثا حيا غير مادي، لا ينتقص بل يضيف إلى «تراثات» وسط البلد المختلفة.

مدينة السينما

تعتمد هذه الجولة على الأفلام التى تم تصويرها فى وسط البلد، وتستعرض الطرق المتباينة التى تناول من خلالها الصناع المناظر المميزة لسرد حكايات مختلفة، حيث شكلت وسط البلد بطبقاتها المتعددة عامل جذب للعين السينمائية لاستخدامها (أو إساءة استخدامها) كل حسب طريقته الخاصة، سواء عن طريق استخدام مبانيها كخلفية فى الأعمال الكلاسيكية أو عن طريق تصوير حالات اجتماعية مضطربة من خلال التركيز على الحياة فوق أسطح وفى ممرات المنطقة فى الأعمال الأحدث.

شبكة الممرات

تعرض هذه الجولة لشبكة من الممرات والحوارى الخلفية، والفراغات البينية التى تتخلها أنشطة تجارية وترفيهية وثقافية مختلفة. تنتشر هذه الأنشطة فى المساحات الممتدة بين المباني، والأفنية الداخلية، بالإضافة إلى العديد من الشوارع الجانبية التى تحولت، إما بصفة رسمية أو بحكم الواقع إلى ممرات مخصصة للمشاة، وبصفة عامة تتيح هذه الممرات مجتمعة فرصة لإعادة اكتشاف وسط البلد كشبكة من الممرات الحاضنة للأنشطة التجارية والترفيهية.

المدينة الأدبية

تركز هذه الجولة على قاهرة الأدباء المصورة فى أعمالهم، بزارة الأماكن ذات الأهمية التكاملية لكل من ذاكرة هؤلاء الأدباء وإنتاجهم الأدبى. وتمر الجولة بأماكن مختلفة، بدءًا من قاعة إيوارات بالجامعة الأمريكية، والمدرسة الفرنسية، وميدان التحرير، وحنانات، ومقاهى، ونواد وسط البلد. لرصد التأثيرات المختلفة لتلك الأماكن على التركيبة الشخصية للأديب القاهرى، وكذلك تصور كيف تحولت هذه الأماكن البارزة بمرور الوقت فى وجدان المدينة ومؤلفيها.

العمارة الحدائبة

تتحرى جولة العمارة الحدائبة المباني واضحة الخطوط ذات التكوينات الحدائبة، حيث كانت منطقة وسط البلد بمثابة مختبر للمعماريين المصريين الحدائبيين والذين بدأت أعمالهم تظهر بقوة خلال ثلاثينيات القرن الماضى من خلال بناء مباني ضخمة الحجم، مستخدمين أساليب تتناقض مع الجماليات المعمارية للمباني المشيدة فى الحقبة السابقة لظهورهم، والتى كانت أغلبها من تصميم معماريين أوروبيين، وارتبطت هذه الطفرة الحدائبة فى معمار وسط البلد بالسياسات القومية وموجة التمسير.

الدراجات

تهدف هذه الجولة إلى تشجيع ركوب الدراجات بوسط البلد واكتشاف المدينة بسرعة مختلفة باستخدام وسائل التنقل البديلة. حيث تنطوي طوبوغرافية القاهرة المستوية على إمكاناتها فى أن تصبح مدينة صديقة للدراجة، ما يساهم فى تقليل بصمتها الكربونية. ويتمتع المشاركون برحلة داخل وسط البلد تمكنهم من اكتشاف المواقع التاريخية والفراغات البينية والأماكن الثقافية المعاصرة. تبدأ الجولة من ميدان التحرير وتختتم عند ساحة تاون هوس جالبرى ومقهى التكمبية.

الفوتوغرافيا

تستند جولة وسط البلد الفوتوغرافية على بحث سابق أُجرى لمعرض استوديو فيينواز فى ٢٠١٢. الذى سلط الضوء على استوديوهات البورتريه المشهورة فى خمسينيات وستينيات القرن المنصرم، والذى اختفى أغلبها وتتبع السلسلة الفوتوغرافية «مفقود وباقى» هذه الآثار. وتتحرى عن البقايا الباقية من هذه الصروح لتبدأ بزيارة لأحد الاستوديوهات القليلة التى ما زالت تعمل فى وسط البلد المتخصصة حالياً فى الصور الشخصية اللازمة لاستخراج جوازات السفر.